الفصل التاسع

اضطهاد الحركة الوطنية بعد مقتل بطرس غالى

١ ــ القوانين التى صدرت لاضطهاد الحركة الوطنية

٢ ــ استئناف جهاد محمد فريد فى أوربا

٣ ــ مقارنة بين مصطفى كامل ومحمد فريد

١ ــ القوانين التى صدرت لاضطهاد الحركة الوطنية :

بعد اغتيال بطرس غالى عرض جورست على الخديو أن يوافق على اختيار اسماعيل سرى لتولى الوزارة فرفض كما اعترض على تعيين حسين رشدى أيضا ، وطلب من جورست أن يحصر الاختيار بين سعد زغلول ومحمد سعيد ، ولما كان جورست متخوفا من سعد وشدته[١] فقد وافق على اختيار محمد سعيد ، ومن البرقية التى أرسلها جورست الى جراى بشأن هذا الموضوع يتضح أن جورست اقترح ترشيح محمد سعيد لرئاسة الوزارة ، بالرغم من أنه لم يكن على قدر كبير من التعاطف مع الاحتلال وذلك لأن تعيينه يعتبر أفضل من تعيين شخص آخر غيره[٢] ويعنى بذلك سعد زغلول .

وقد طلب جورست من وزير الخارجية البريطانية الرد برقيا وبصفة مستعجلة على هذا الاقتراح الذى قدم من الخديو ، موضحا أن الخديو تعهد بعزل محمد سعيد من هذا المنصب اذ ظهر من الممارسة عدم تعاونه مع الانجليز[٣] ، وقد رد جراى بالموافقة على تعيين محمد سعيد[٤] .

ولما كلف محمد سعيد بتشكيل الوزارة حاول تسكين نشاط الحركة الوطنية ، بأن يشرك محمد فريد معه فى الوزارة ولكن فريد رفض الاشتراك فيها بقوله « كيف يطلب منى أن أشترك فى حكم البلاد فى ظل الاحتلال ، وأنا أجاهد الاحتلال ؟ وكيف يتفق النقيضان[٥] » .

---

١ ــ مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٨ ص ٩٢٧ .

(2) F.O 407 — 175 Part Lxxii, Gorst to Grey Cairo Feb 21,1910

(3) Ibid

(4) F.O 407 — 175 No . 12, Grey to Gorst Feb. 22,1910

(٥) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٤٥ .

وللتنكيل بالحركة الوطنية اتخذ الاحتلال من مقتل بطرس غالى الحجة على أن يترك الدبلوماسية جانبا فالقى جراى خطابا فى البرلمان فى ١٥ يونيه ١٩١٠ صرح فيه بأن سياسة حكومته تقضى بالاحتفاظ باحتلال مصر لأنه من العار أن تتخلى عن المسئوليات التى نشأت حولنا هناك .

كما أمعنت الوزارة الجديدة فى محاربة الحركة الوطنية ، فصدر أمر عال بثلاثة قوانين تعطى السلطة التنفيذية الصفة القانونية فى تصرفاتها المطلقة .

ويخص القانون الأول تهم الصحافة والمطبوعات وقد وضعه سعد زغلول بصفته ناظرا للحقانية ، ويقضى باحالة تهم الصحافة والمطبوعات الى محكمة الجنايات[٦] بعد أن كانت تنظرها محاكم الجنح وأن يكون حكمها غير قابل للاستئناف ، والسبب الذى دعا الى هذا القانون هو أن تهم الصحافة كانت تنظر فى المحاكم الابتدائية والاستئناف ، فرأت الحكومة أن تحويلها الى محاكم الجنايات يرهب الصحفيين من ناحية ويحرمهم احدى درجات التقاضى من ناحية أخرى[٧] » وقد ذكر لويد أن السبب الذى دفع الحكومة الى تقييد حرية الصحافة يرجع الى تهيج جرائد الحزب الوطنى وخصوصا اللواء للرأى العام[٨] ، ومع أن مجلس شورى القوانين قد قرر بجلسة ٣٠ مايو ١٩١٠ رفضه بأغلبية الأصوات لمشروع القانون فان الوزارة لم تأبه برأيه[٩] ونتيجة لذلك أرسلت

---

(٦) هو القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠ الصادر فى ١٦ يونية ١٩١٠ .

(٧) الرافعى : محمد فريد ص ١٦٨ — ١٦٩ .
ويذكر لويد أن السبب فى تقييد حرية الصحافة يرجع الى كتابات اللواء الشديدة اللهجة .

(8) Lloyd : Egypt Since Cromer, Vol London 1933 p. 88 — 89

(٩) محاضر جلسات مجلس شورى القوانين . دور الانعقاد ١٩٠٩/١٩١٠ محضر جلسة ٣٠ مايو وأول يونيه ١٩١٠ .

البرقيات من كافة أنحاء البلاد الى ديوان الخديو يحتج فيها أصحابها على ذلك القانون[١٠] ويهدف القانون الثانى من منع طلاب المدارس من الاشتراك فى المظاهرات ، وذلك عن طريق تهديدهم بعقوبات مختلفة وذلك بفصل تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية الذين تقل درجاتهم فى المواظبة عن ٢٠ من ٣٠ خلال العام الدراسى وعدم قبولهم فى أى مدرسة أميرية أخرى ، وقد وافق مجلس شورى القوانين على ذلك واشترط أن تكون المظاهرة التى يشترك فيها التلاميذ مظاهرة سياسية .

أما القانون الثالث فهو خاص بتعديل قانون العقوبات[١١] بحيث يعاقب بالسجن كل من اشترك فى اتفاق بقصد ارتكاب الجنايات حتى لو لم يشترك فى ارتكابها[١٢] ، وذلك لما رأته الحكومة من نقص فى قانون العقوبات عند التحقيق فى قضية مقتل بطرس غالى[١٣] فرغم ثبوت التهمة على مهندسين وخمسة من الطلبة ثبت اشتراكهم فى

(١٠) محافظ عابدين ، تلغرافات ديوان خديو . انظر على سبيل المثال تلغراف من اللجنة الفرعية للحزب الوطنى بقسم عابدين .

(١١) هو القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩١٠ فى ١٦ يونيه ١٩١٠ .

(١٢) محاضر جلسات مجلس شورى القوانين . دور الانعقاد العادى ١٩٠٩/١٩١٠ الجلسة السابقة الذكر .

(١٣) بعد اغتيال بطرس غالى احست سلطات الاحتلال ان هناك نقصا فى قانون العقوبات فمرتكب الجريمة شاب ثبت انه ينتمى الى جمعية سرية وان آخرين اشتركوا معه فى التفكير فى ارتكاب الجريمة ، ومع ذلك فقد انفرد دونهم بالتنفيذ ، ولم يجد القضاء يومئذ سبيلا الى معاقبة اولئك الشركاء الذين تبادلوا الراى مع القاتل ، ولم يكونوا شركاء معه فى التنفيذ ، لذلك اضيفت مادة الى قانون العقوبات وهى المادة ٤٧ مكرر ، وقد جاء فى المذكرة الايضاحية لوزارة الحقانية ان الحكومة ارادت بهذه الاضافة ان تضرب على يد الاجتماعات او الاتفاقات التى يكون العبث بالنفس او الاموال غرضا من اغراضها .

محمد عبد الله عنان : تاريخ المؤامرات السياسية . القاهرة — دار الهلال ١٩٢٨ ص ٣٥ .

التخطيط لارتكاب الجريمة ،فان هذه الجريمة لا توجد عليها عقوبة فى القانون المدنى[١٤] .

وقد وضع سعد زغلول هذا المشروع ووافق عليه مجلس شورى القوانين بعد تعديلات طفيفة ، وقد استهدفت الحكومة من القانون الأول التنكيل برجال الحزب الوطنى ويتضح ذلك من محاكمة محمد فريد بسبب تقريظه لكتاب « وطنيتى »[١٥] للشيخ على الغاياتى والحكم عليه بالحبس لمدة ستة شهور ففى أغسطس ١٩١٠ قدم كل من الشيخ عبد العزيز جاويش ومحمد فريد الى المحاكمة بتهمة كتابة مقدمة لكتاب « وطنيتى » الذى يتضمن الدعوة الى الثورة والتنديد بالظلم وبحكم الفرد ، فقد تحدث الغاياتى فى مقدمته لهذا الكتاب عن استسلام ملك فرنسا لويس السادس عشر لارادة حاشيته الظالمة ، وزوجته المستبدة المسرفة مارى انطوانيت التى كانت تحتقر الشعب الفرنسى ، كما بين هذا الكتاب ان ارادة الشعب كانت دائما فوق كل ارادة ، وان الويل دائما يلحق بالحكومات اذا غضبت عليها الشعوب[١٦] .

كما تضمنت هذه المقدمة تنديدا بحكم الخديو المطلق واسرافه فكتب على الغاياتى يقول « يأخذ الحاكم المستبد (يقصد الخديو) أموال الأمة باحدى يديه ، ويسومها سوء العذاب باليد الأخرى فهو يجيعها ليشبع ويفقرها ليغنى ، ويذلها ليعتز ثم يسد فى وجهها مناهل العلم لتتفسح أمامه مناهج الظلم[١٧] » ثم هدد الخديو بقوله « لكن يوم الظالمين يوم عصيب ، هنالك يغير الله حالا بعد حال وتستوى الأمة على عرشها تدير دفة الحكم بيدها[١٨] » .

---

(14) Gorst to Grey . Cairo . April 12, 1910 No 20 Tel F.O Part Lxxii, 407 — 175 .

(١٥) ظهرت الطبعة الأولى منه فى يونية ١٩١٠ .

(١٦) على الغاياتى : وطنيتى . القاهرة — مطبعة منبر الشرق — الطبعة الثالثة ١٩٤٧ ص ٢٦ — ٢٧ .

(١٧) نفسه ص ٣٣ .

(١٨) نفسه ص ٣٣ .

ومع أن جميع القصائد التى احتواها الكتاب قد سبق للصحف نشرها فقد نبهت جريدة المؤيد السلطات الى خطورة الكتاب مما دفع الحكومة الى مطالبة النيابة بالتحقيق فيما ورد بالديوان ، فأمرت بمصادرته ، ووجهت تهمة التحريض على جريمة القتل السياسى والعيب فى حق الذات الخديوية ، والحض على كراهية الحكومة[١٩] الى محمد فريد وعبد العزيز جاويش وعلى الغاياتى ، ولما كان محمد فريد فى أوربا فى ذلك الوقت للدفاع عن القضية المصرية قد أجلت محاكمته لحين عودته بينما حكم على الشيخ على الغاياتى غيابيا (وكان قد خرج سرا من القاهرة الى الاستانة) بالحبس لمدة سنة ، كما حكم على الشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة شهور .

ومع أن خصوم محمد فريد قد أشاعوا أنه لن يعود خوفا من الحكم عليه ، فانه نفى هذه الشائعة وهو فى أوربا وعاد الى مصر بعد أن كتبت له ابنته خطابا تذكر له فيه الشائعات ، وتطلب منه العودة الى بلاده ، بقولها « ولنفرض أنهم يحكمون عليك بمثل ما حكموا به على الشيخ جاويش ، فذلك أشرف من أن يقال بأنكم هربتم وما تحملتم الهوان فى سبيل وطنكم .. وباسم الوطنية والحرية التى تضحون كل عزيز فى سبيل نصرتها أن تعودوا وتتحطوا آلام السجن[٢٠] » .

وقد بدأت النيابة التحقيق مع محمد فريد فى ٤ يناير ١٩١١ وقد تولى استجوابه محمد توفيق نسيم ، ونظرت القضية أمام محكمة الجنايات بالقاهرة فى ٢٣ يناير ١٩١١ وأصدرت المحكمة حكمها بحبس فريد لمدة ستة أشهر مع النفاذ .

وعند مراجعتنا للمقدمة التى كتبها محمد فريد ، وهى تحت عنوان

---

(١٩) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ القسم الثانى ص ٢٣٢ .

(٢٠) الرافعى : المرجع السابق ص ١٨٨ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ .

« تأثير الشعر فى تربية الأمم » نجد أنها تتحدث عن أثر الشعر فى ايقاظ الأمم من سباتها ، ومهاجمة استبداد حكومة الفرد لامانتها للشعر الحماسى ، كما نجد دعوة من فريد للشعراء بعدم تملق الأمراء والتقرب من الوزراء ، لأن « الحكام زائلون والأمة باقية[٢١] » .

وبعد صدور الحكم على فريد قام أمين الرافعى بعمل استفتاء فى جريدة الشعب لمعرفة رأى علماء القانون عن السبب فى الحكم على فريد بستة شهور حبس ، بينما حكم على الشيخ جاويش بثلاثة أشهر مع أن التهمة واحدة ، فكانت الحجة أن فريد يعرف القانون أكثر من جاويش لذلك فانه يقتضى التشديد عليه فى العقوبة[٢٢] .

والجدير بالذكر أن هذه القوانين قد زادت من تذمر الوطنيين وقد أفصح سعد زغلول عن ذلك فى مذكراته بقوله « كنت فى أشد حالات القلق لأنى أشعر أن فى النفوس هياجا[٢٣] » كما تقاطرت برقيات الاحتجاج من كافة أنحاء البلاد ضد هذه القوانين ، وقامت المظاهرات وتدخل البوليس لقمعها باطلاق النار فى الهواء[٢٤] ومع أن سلطات الاحتلال استمرت فى سياسة الارهاب فان الحزب الوطنى ظل على سياسته فى اثارة الجماهير واستمرت حركة الطلبة فى المناداة بطلب الدستور مما أدى الى زيادة متاعب البوليس فى المحافظة على النظام بشوارع القاهرة كما برز تأثير الصحافة على الطبقات الوسطى التى أخذت تظهر عداءها السياسى للاحتلال وتنتقد هيبةالحكومة وسلطتها[٢٥] يضاف الى ذلك أن سياسة القهر والارهاب ضد الحزب الوطنى أدت الى

---

(٢١) على الغاياتى : المرجع السابق ص ١١ — ١٥ .

(٢٢) مجلة الهلال مجلد ١٩٣٠ مقال للاستاذ طاهر الطناحى بعنوان « مثال البذل والجهاد » محمد فريد ص ٣٣١ .

(٢٣) مذكرات سعد زغلول كراسة ١٣ ص ٧٢٢ .

(24) F.O 407 — 174 No 13, Graham to Grey, Cairo. April 4,1909

(25) 407 — 174, No 187 LoWther to Grey Constantinoble Morch 15, 1909 .

ظهور الأفكار الارهابية التى تنادى بالدعوة الى الاغتيالات السياسية[٢٦] للتخلص من الخونة وأعداء الوطن .

ومما سبق يتضح أن سياسة الاحتلال فى قمع الحركة الوطنية قد أدت الى زيادة حالات القلق فى البلاد واثارة النفوس ضد الاحتلال .

٢ — استئناف جهاد محمد فريد فى أوربا

فى ٢٢ مارس ١٩١٢ ألقى محمد فريد خطابه السنوى فى الجمعية العمومية للحزب الوطنى ندد فيها باقتراح اللورد كتشنر انشاء صندوق توفير للزراع ، وطالب أن يكون ذلك بأيدى صرافى البلاد ومع أن هذه الخطبة كانت خفيفة اللهجة عن خطب فريد السابقة فان الحكومة التى كانت تتربص به رأت أن القاء فريد رهن السجون يحد من نشاطه الوطنى ، ويرهب باقى الوطنيين لذلك أرسلت له اخطارا على يد ضابط بوليس يتضمن استدعاءه الى النيابة لاستجوابه عما ورد بخطبته ، ولما أحس فريد بنية الحكومة تجاهه فكر فى مغادرة البلاد الى الخارج

وقد أوضح ذلك فى مذكراته بقوله « ومن هذه اللحظة صممت على ترك مصر[٢٧] » .

ولما كان أمر مغادرة زعيم الحزب الوطنى للبلاد له خطورته فى التأثير على الحزب فقد استشار فريد أعضاء اللجنة الخاصة بمناقشة المسائل الهامة فى الحزب وعن ذلك يذكر « خابرت صادق بك رمضان وفؤاد بك سليم ومحمود بك فهمى المحامى واسماعيل لبيب واسماعيل حافظ أعضاء اللجنة الخصوصية التى كنا قد شكلناها للمداولة فى مسائل

(26) 407 — 173 No 836, LoWther to Grey, Therapia - oct , 11 — 1909 .

(٢٧) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . الجزء الأول — القسم الأول ص ١٤ .

الحزب الهامة قبل عرضها على اللجنة الادارية ، وفى صباح يوم الاثنين نزلت بالقطار من محطة الحلمية حيث كنت ساكنا الى محطة الزيتون ، وقصدت منزل الدكتور صادق وأخبرته بالحادثة وبعزمى على السفر ، فوافق واتفقنا على الاجتماع بمنزل اسماعيل بك لبيب بالحلمية الجديدة بعد الاستجواب[٢٨] » .

ذهب فريد الى النيابة لاستجوابه وبعد الاستجواب سمح له بالانصراف فذهب الى منزل اسماعيل لبيب حسب الاتفاق وهناك قص على زملائه ما دار فى التحقيق فقرروا بالاجماع مغادرته للبلاد[٢٩] .

وقد أوضح فريد الطريقة التى غادر بها أرض الوطن فقال « ذهبت الى نادى الحزب الوطنى وذهب اسماعيل بك الى محل كوك للاستعلام عن السفن المسافرة الى الخارج فوجدنا أن الوابور الروسى « الملكة أولجا » يسافر الى الآستانة وبيريه فى يوم الثلاثاء فقررنا السفر فيه بالكيفية الآتية وهى أن اسماعيل لبيب يقطع تذكرة لنفسه للاستانة وأنا أسافر من مصر يوم الثلاث باكسبريس الصباح الساعة ٧ صباحا كانى مسافر الى الاسكندرية للمرافعة فى قضية بمحكمة الاستئناف المختلطة ثم أرافقه الى الوابور فان ضبطت أو تعرف البوليس على أقول بأنى حاجز لوداعه وبما أنى سأكون بمفردى بلا شنط أو ملابس بل بلا تذكرة سفر فلا يمكن لأحد أن يظن بأنى مسافر[٣٠] .

ومع أن الوقت كان ضيقا أمام فريد ، والظروف تقتضى منه الاسراع فى العمل لأن الحكومة كانت جادة فى استصدار أمر بالقبض عليه فان أمرا هاما كان يشغل باله وهو الطريقة التى يمكنه عن طريقها ابلاغ زوجته بما اعتزم عليه فقد حرص على عدم ازعاجها ، ولكنه لم ير بدا

---

(٢٨) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . الجزء الأول . ص ١٤ .
(٢٩) نفسه .
(٣٠) نفسه ص ١٥ .

من أن يفضى اليها بالأمر فأفهمها بضرورة سفره وأوصاها بالصبر والجلد وطلب منها أن لا تخبر أولاده ولا أحد من أسرته بما اعتزم عليه حتى لا ينزعجوا[٣١] .

وفى صباح الثلاثاء ٢٦ مارس استقل فريد القطار فقابله كثيرون من اخوانه وأصدقائه فأخبرهم أنه ذاهب الى الاسكندرية للترافع فى قضية بالمحكمة المختلطة ، وقد رافقه فى القطار اسماعيل لبيب وتغذيا بالاسكندرية ثم قصدا الباخرة الروسية المزمع ركوبها وكان اسماعيل لبيب قد اشترى لنفسه تذكرة السفر أما محمد فريد فقد ركب بدون تذكرة حتى لا يعرف أحدا عزمه على السفر فيحجزوه[٣٢] » .

احتجب فريد فى محل الأدب نحو عشر دقائق عند مرور مفتش الباخرة فلم يلحظ أحد وجوده[٣٣] وبعد تحرك الباخرة دفع فريد ثمن التذكرة معتذرا بأنه لم يجد الوقت الكافى لأدائه فى مكتب الشركة بالاسكندرية[٣٤] .

وعلى كل حال فقد خرج فريد من مصر واختلف الباحثون حول طبيعة هذا التصرف فمنهم من يعتبر خروجه تصرفا خاطئا لأنه عزل قيادة الحركة الوطنية عن الجماهير ونقل قيادتها من مركز اشعاعها الى الاستانة ودول أوربا[٣٥] وانه ترك شعبا أحبه والتف حوله وأعجب به ومنح التأييد لحزبه ما لم يمنحه لأى حزب آخر وكان يجب عليه الا يترك

---

(٣١) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٢٧٥ .

(٣٢) نفسه .

(٣٣) مذكرات محمد فريد . ج ١ القسم الأول ص ١٧ .
بينما يذكر الرافعى ان فريد احتجب بغرفة اسماعيل لبيب حتى انتهى مفتش الحجر الصحى من المرور .

(٣٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٦ .

(٣٥) محمد صبيح ، مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية — كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٦٦ ، ص ٥٣٠ .

مصر لأنها مركز الجهاد الحقيقى[٣٦] وأن دخوله السجن فيه تعبئة للرأى العام وايقاظا لهمم الناس وشحذا لوطنيتهم وأنه كان من الممكن الافراج عنه بقوة الضغط الشعبى[٣٧] .

ومن الباحثين من يرى أن خروج فريد من مصر كان تصرفا صحيحا لأنه كان فى نية الحكومة شل حركته وابقاؤه رهن السجون بواسطة سلسلة من المحاكمات التى لا تنتهى بحيث اذا خرج من سجنه تدبر له تهمة جديدة يدخل بسببها السجن ثانية وان خروج فريد من مصر سيتيح له متابعة جهاده فى الخارج ورفع صوت مصر والمناداة بحريتها واستقلالها[٣٨] حيث كان الرأى العام العالمى فى حاجة الى فهم واضح لأبعاد القضية المصرية كما أن التنظيمات الطلابية خارج مصر كانت فى حاجة الى جهود فريد الذى يعتبر رجل التنظيم السياسى فى مصر[٣٩] .

وهناك فريق يرى أن خروج فريد من مصر كان من أجل ملاحقة فتاة فرنسية كان يحبها وهى مدام دى روشبرون .

ومن وجهة نظرنا فنحن نرى أن نقل فريد لميدان الكفاح فى الخارج يعتبر استمرارا لمواصلة الجهاد وتأليبا للرأى العام الأوربى على الانجليز وأفيد للحركة الوطنية من تواجده وسط مؤامرات الحكومة وارهابها . فقد تابع فريد جهاده فى الخارج وكان أول عمل بارز له هناك هو حضوره مؤتمر السلام فى جنيف فى ٢٢ سبتمبر ١٩١٢ ومطالبته بجلاء الانجليز عن مصر واقناع أعضاء المؤتمر بأن الجلاء عن مصر هو خدمة للسلام العالمى[٤٠] .

---

(٣٦) د. رفعت السعيد . تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ص ٣٨ .
(٣٧) محمد صبيح : المرجع السابق ص ٥٣١ .
(٣٨) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٥ .
(٣٩) الجمهورية العدد ٥٧٧٥ فى ١٩٦٩/١٠/١٦ مقال للدكتور محمد انيس تحت عنوان كفاح فى المنفى .
(٤٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٨ — ٢٨٢ .

والجدير بالذكر أنه بعد خروج فريد من مصر سادها جو من الارهاب وكثرت الوشايات واستهدف الوطنيون لشتى ضروب الاضطهاد فاخذت الحكومة فى مطاردة الحركة الوطنية وضرب نطاق من التجسس حولها[٤١] كما أنها أخذت تراقب تحركات فريد بأوربا فأرسلت محمد بدر الدين رئيس قلم الضبط بوزارة الداخلية لمراقبته ، خصوصا وانها كانت تخشى تأثيره على الطلبة المصريين فى أوربا[٤٢] .

وكان طبيعيا بعد هجرة فريد من مصر وما تبعه من هجرة العشرات من قادة الحزب الوطنى أن تتبدد جهود الحركة الوطنية وعلى كل حال فانه بقيام الحرب العالمية الأولى انتهى الدور التاريخى للحزب الوطنى فى قيادة الحركة الوطنية المصرية .

٣ — مقارنة بين مصطفى كامل ومحمد فريد

النشأة والانتماء الطبقى

ولد مصطفى كامل فى ١٤ أغسطس ١٨٧٤ بدرب الميضا شارع « شيخون » حى الصليبة بقسم الخليفة بالقاهرة[٤٣] وولد محمد فريد فى ٢٠ يناير ١٨٦٨ بمدينة القاهرة أى قبل ميلاد مصطفى كامل بنحو سبع سنوات[٤٤] ونشأ مصطفى كامل فى طبقة اجتماعية متوسطة فوالده على محمد كان يعمل فى خدمة الحكومة المصرية حوالى أربعا وأربعين عاما عمل فى أثنائها بحرس سعيد باشا ثم بنظارة الأشغال العمومية ، حيث قضى بها مدة طويلة أحيل بعدها الى المعاش[٤٥] . أما والدة

---

(٤١) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٨٦ .
(٤٢) مذكرات محمد فريد . ملف (١) ص ٢٠ — ٢١ .
(٤٣) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية . القاهرة — النهضة المصرية الطبعة الرابعة ١٩٦٢ ص ١٩ .
(٤٤) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية .
(٤٥) الرافعى : مصطفى كامل ص ١٩ .

مصطفى كامل فهى السيدة حفيظة هانم ابنة أحد الضباط المصريين . وقد وقفت بجوار ابنها تشد من أزره ، وقد ورث مصطفى كامل عنها الصبر على احتمال المتاعب والآلام . وحب الخير[٤٦] .

أما عن مصطفى كامل فكان يمتاز بذاكرة واعية وارادة قوية منذ صغره ، كما كان يتمعن فى كل ما يراه وما يسمعه شغوفا بقصص البطولة والفروسية التى كان يسمعها من والده ، وقد تنقل فى المدارس الابتدائية ، وأراد والده ادخاله الأزهر ، ولكنه عدل عن ذلك ، لنبوغه فى الرياضيات .

وقد التحق مصطفى كامل بعد حصوله على الابتدائية بالقسم التجهيزى بالمدرسة الخديوية ، وبعد أن نال شهادة « البكالوريا » التحق بمدرسة الحقوق الخديوية ثم بمدرسة الحقوق الفرنسية ، ولما كانت ظروف مصطفى كامل الاجتماعية لا تمكنه من استكمال دراسته بالخارج فقد أمده الخديو عباس الثانى بالمال بعض الوقت ، وقد حصل مصطفى على شهادة الحقوق فى نوفمبر ١٨٩٤ وله من العمر عشرون سنة[٤٧] ، ورغم أنه قد قيد اسمه فى سجل المحامين فانه لم يترافع عن أية قضية سوى قضية مصر .

أما عن محمد فريد فقد نشأ فى بيت مجد وثراء ، فأبوه أحمد فريد باشا كان ناظرا للدائرة السنية عام ١٨٨٦ ، ووالدة محمد فريد هى السيدة « بمبه هانم » كريمة ابراهيم أفندى قاضى البهار ، وكان لها الفضل الأكبر فى تعليم نجلها صفاء النفس والمعانى السامية[٤٨] .

وقد دخل فريد مدارس الحكومة ، وحصل على شهادة الحقوق فى مايو ١٨٧٧ ، ومع أن نشأته العائلية كانت تؤهله للعيش فى سعادة بعيدا

---

(٤٦) الرافعى : المرجع السابق ص ٢١ .
(٤٧) نفسه ص ٤١ .
(٤٨) الرافعى : محمد فريد ص ١٧ — ١٨ .

عن مخاطر السياسة فانه ترك انتماءه الطبقى قلبا وقالبا ، واقتحم ميدان الجهاد ، وأصبح جماهيريا يفضل الارتباط بمشاكل الجماهير والبعد عن حياة الأثرياء .

ومع أن مصطفى كامل ابتعد عن العمل فى السلك الحكومى — بعد حصوله على شهادة الحقوق — لأن الحكومة كانت خاضعة لسيطرة الاحتلال وهو لا يقبل هذا الخضوع بل هو ثائر على الاحتلال[٤٩] فان فريد عمل فى هذا السلك ، فعين فى عام ١٨٨٧ فى وظيفة مترجم بقلم قضايا الدائرة السنية وتدرج فى المناصب حتى وصل الى وظيفة : وكيل نيابة ، وأخذت أبواب التدرج الوظيفى تتفتح أمامه لولا ما اعترضه فى سبيلها من التطلع الى الجهاد فى سبيل مصر[٥٠] .

وبينما توفى مصطفى كامل دون أن يتزوج ، فان فريد تزوج ورزق من زوجته بولدين وأربع بنات[٥١] .

ميولهما الوطنية :

ظهرت ميول مصطفى كامل الوطنية وهو بالمدرسة الثانوية ، اذ بدأ يشعر أن عليه واجبا نحو وطنه يجب ان يؤديه ، فأسس جمعية الصليبية الأدبية ، وأخذ يراسل الصحف وهو طالب . أما فريد فقد بدأت ميوله الوطنية بعد حصوله على شهادة الحقوق ، وقد اتجهت نفسه الى خدمة الوطن بالكتابة والتأليف ، و[illegible] راسل الصحف ، وكتب مقالات بمجلة الآداب ، وجريدتى المؤيد واللواء ، وظهرت ميوله الوطنية واضحة أثناء التحاقه بالمناصب الحكومية ، ويظهر ذلك واضحا فى موقفه من « قضية التظلم » ، ثم ضحى بمنصبه وعمل بالمحاماة ، حتى يبتعد عن قيود الوظيفة .

---

(٤٩) الرافعى : مصطفى كامل ص ٤٢ .
(٥٠) الرافعى : محمد فريد ص ٢١ .
(٥١) نفسه ص ١٨ — ٢٠ .

علاقة كل منهما بالخديو :

نشأ مصطفى كامل فى طبقة اجتماعية متوسطة ، لم تمكنه من مقابلة المصروفات الكبيرة التى يتطلبها العمل الوطنى الذى تصدى له ، ومن ثم اعتمد على الخديو عباس الثانى فى امداده بهذه المصروفات مما أوجد نوعا من العلاقة الخاصة بين الرجلين[٥٢] ، وجعل مصطفى يرتبط بالخديوية فى بعض المواقف أحيانا ، ومع ذلك فان علاقة مصطفى كامل بالخديو لم تستمر على هذا المنوال ، فقد رأى مصطفى كامل ضرورة استقلال الحركة الوطنية عن الخديو بعد أن تبين له سياسة الخديو المتقلبة تجاهها ، وقد أوضح مصطفى كامل ذلك فى خطاب أرسله الى محمد فريد قال فيه : « لقد علمت عن الخديو ما لا يسر ولابد أن تضره السياسة ذات الوجهين ضررا كبيرا ، وكلما كان عمل الوطنيين بعيدا عنه كان الفلاح محققا[٥٣] » .

أما فريد فلم يرتبط بالخديوية بأية روابط تقيد من حركته أو تفرض عليه مواقف معينة ، فبحكم انتمائه لطبقة كبار الملاك استطاع امداد العمل الوطنى بالمال دون أن يلتزم بأى موقف مع الخديو ، لذلك فعندما تولى فريد رئاسة الحزب الوطنى اتخذ طابع الخلاف بينه وبين الخديو أبعادا واسعة نتيجة لرفض فريد ايجاد علاقة مع الخديو شبيهة بالعلاقة التى كانت قائمة بين الخديو ومصطفى كامل .

لقد ورث فريد جداً معارضة التعامل مع الخديو من لطيف باشا سليم الذى كان يرى فى الخديو رجلا أنانيا يفضل منفعته الشخصية على الصالح العام[٥٤] .

---

(٥٢) د. يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ص ٨٤ .

(٥٣) مذكرات محمد فريد . مظروف رقم (١) خطاب من مصطفى كامل الى محمد فريد بتاريخ ٢٣ اغسطس ١٩٠٧ .

(٥٤) مذكرات محمد فريد ، الجزء الأول — القسم الأول ص ٢ .

ومن ذلك يتضح أنه اذا كان الخديو قد أمد مصطفى كامل بالمال فان ذلك لم يحدث مع محمد فريد حتى فى أحرج اللحظات الا فى أواخر حياته ، وقد نفى فريد الشائعات التى قيلت بأن الخديو ورئيس الوزراء محمد سعيد قد أرسلا اليه ثلاثمائة جنيه لمساعدته على الخروج من مصر، واستغرب مثل هذا الأمر بقوله فى رسالة له الى الخديو : « انى أترفع عن قبول أية مساعدة منكم ولو كنت فى أحط دركات الفقر .. وانى لا أقبل منكم أية مساعدة ما دامت مهمتى هى الجهاد فى تحرير البلاد من الانجليز ومن كل من يعاونهم على توطيد قدمهم فى مصر كائنا من كان[٥٥] » .

ومع ذلك فان الظروف التى أحاطت بفريد فى أواخر أيامه جعلته يقبل مساعدة الخديو له بالمال ، ويتضح ذلك فيما كتبه فى مذكراته تحت عنوان « من أين أعيش » أنه يأخذ نقودا من الخديو ، ولا عيب فى ذلك لأنه خديوينا الشرعى ، ولا يعتبر أخذ الفلوس منه خيانة[٥٦] » .

علاقة مصطفى كامل بفريد :

اتفقت ميول فريد الوطنية مع ميول مصطفى كامل ، فاتصل به وزامله فى حركة الكفاح الوطنى ، وأيده فى جهاده وتوثقت روابط الصداقة بينهما ، وكان مصطفى يراه خير خليفة له فى قيادة الحركة الوطنية[٥٧] .

وتدل رسائل مصطفى كامل الى فريد على ما بينهما من الود والحب الخالص فكلاهما كان يؤثر صاحبه على نفسه « ما بيننا من الود والاخاء يجعل مالك مالى ، ومالى مالك ، وحياتى حياتك ، وحياتك حياتى هذا

---

(٥٥) مذكرات محمد فريد من ٢٣ — ٢٤ فى ١١ يونيه ١٩١٢ .

(٥٦) مذكرات محمد فريد ، ملف رقم ٧ ص ١٩٦ .

(٥٧) الرافعى : محمد فريد ص ٨ .

ما أعتقده وما تعتقده أنت فروحى تناجى روحك بالود والاخلاص فى كل لحظة[٥٨] .

وترجع صلة مصطفى كامل بفريد الى عام ١٨٩٣م عندما أسس مصطفى كامل مجلة المدرسة ، ثم تأكدت العلاقة بينهما فى عام ١٨٩٥ عندما تقابلا فى « باريس » قبل أن يلقى مصطفى كامل أول خطبه السياسية فى مدينة « تولوز » فى ٤ يوليه من تلك السنة[٥٩] .

وقد أمد فريد مصطفى كامل بالمال لاعانته على أداء مهامه الوطنية. ويتضح ذلك من رسالة بعثها مصطفى كامل الى فريد يقول له فيها : « أكتب اليك بمبلغ الألف « فرنك » فلك منى جزيل وعظيم الامتنان: فحقا أنت الأخ الصادق الذى يضحى بنفسه فى سبيل محبة اخوانه[٦٠] » .

كما يتضح من قول مصطفى كامل الى فريد : « وتجدنى محتاجا الى خمسين جنيها ولا أسأل غيرك أحدا[٦١] » .

لقد توثقت عرى الصداقة والاخاء بين مصطفى وفريد حتى كانا زميلين وصديقين وفيين فى الجهاد ، وقد صحب فريد مصطفى كامل فى كثير من رحلاته بأوربا ، واجتمعا فيها معا برجال السياسة والصحافة وكبار الكتاب ، وناب عنه خلال صيف ١٩٠٧م فى الاشراف على

---

(٥٨) مذكرات محمد فريد ، مظروف رقم (١) ، رسالة ارسلها مصطفى كامل الى فريد من باريس بتاريخ ١٩ يوليه ١٨٩٨ .

(٥٩) الرافعى : محمد فريد ص ٣١ .

(٦٠) مذكرات محمد فريد . مظروف رقم (١) ، خطابات من مصطفى كامل الى محمد فريد . خطاب بتاريخ ٢٦ اغسطس ١٨٩٨م .

(٦١) نفسه : خطاب بتاريخ ١٥ اغسطس ١٨٩٨ .

« اللواء » ، وادارة جـريدتى « ليتندار اجيبسـيان و ذى اجبشيان استاندر » حينما سافر مصطفى الى أوربا ، وكان مصطفى يرى فى فريد خير خليفة له فى قيادة الحركة الوطنية ، فاختاره وكيلا للحزب الوطنى فى أول جمعية عمومية له ، كما أوصى بانتخابه رئيسا بعد وفاته(٦٣) .

أسلوب كل من مصطفى كامل وفريد فى الكفاح :

لقد تمتع مصطفى كامل بموهبة اقناع الجمـاهير فكانت بلاغتـه واضحة فى أسلوبه الذى ينتقل من البساطة الى بلاغة الخطيب(٦٣) ، وكان أسلوبه السياسى قائما على الصراحة فى الحق ، ولم يقتصر ذلك على الجماهير المصرية بل نجد أن مصطفى كامل قد نجح فى استمالة عقول القراء بأوربا ، فكتب أولى رسائله السياسية وهو فى « باريس » بعنوان : « فى أخطار الاحتلال البريطانى » ، أوضـح فيها لشـعوب وحكومات أوربا أن خطورة احتلال انجلترا لمصر لا تقتصر على مصر وحدها بل على الدول الأوربية نفسها ، وكانت دعايته للقضية المصرية فى أوربا من أهم صفحات جهاده الوطنى ، فقد استطاع الدفاع عن قضية بلاده على صفحات الجرائد الأوربية ، ولا غرو فانه أول مصرى أسمع العالم الأوربى من مقالاته وخطبـه وأحاديثـه أن مصر ترفض الاحتلال وتطلب الحرية والاستقلال(٦٤) ، وساعده فى ذلك معرفتـه للثقافة الغربية .

---

(٦٢) الرافعى : المرجع السابق ص ٨ .

(٦٣) د. عبد اللطيف حمزه : ادب المقالة الصـحفية فى مصر جـ ٥ ص ٤٩ .

والجدير بالذكر أن مصطفى كامل كان يعتمد فى تصحيح خطبه على احمد حلمى المحرر باللواء .

انظر : مجموعة الخطابات المودعة بمتحف مصطفى كامـل بميـدان صلاح الدين بالقلعة خطاب بتاريخ : ٧ يونية ١٩٠٤م والموجـودة ضمن ملاحق الكتاب .

(٦٤) الرافعى : مصطفى كامل ص ٥٠ .

وقد عرف مصطفى كامل — طيلة كفاحه — كيف يخاطب عدوه باللغة الهادئة التى تستند على العقل والمنطق ، كما تميز بالحذر فى سياسته وخصوصا بعد تجربة الثورة العرابية[٦٥] فلم يلجأ الى القذف أو الذم، بل كان عفيف القلم واللسان ، يطالب بحقوق بلاده بأسلوب بعيد عن الشتائم[٦٦] .

وتميز مصطفى كامل فى أسلوب كفاحه بالواقعية ، فتتبع الحقائق من مصادرها ، ورأى أن القضية المصرية قضية دولية وأن الاستقلال لا يتحقق لمصر الا بالضغط الأوربى على انجلترا .

كما حارب مصطفى كامل اليأس فى النفوس ، وأوضح أهمية الثبات على المبدأ والايمان بالوطن ، وبمثل هذه التعاليم استمر مصطفى كامل يعمل من أجل انهاض مصر ، ويحمل نفسه فوق طاقتها لا يهتم الا بتأدية الواجب غير ناظر الى ما ينتجه هذا الاجهاد من الاضرار بصحته[٦٧] .

هذا عن أسلوب مصطفى كامل فى الكفاح الوطنى أما محمد فريد فقد أكمل ما بدأه مصطفى كامل مستخدما الوسائل والأساليب التى اتبعها مصطفى كامل مضيفا اليها الاشتراك فى المؤتمرات التى عقدت فى أوربا وذلك لعرض القضية المصرية هناك .

وقد استند أسلوب فريد فى الكفاح على أربع دعائم وهى الاخلاص ، والصراحة ، وقوة الارادة ، والتضحية ، فما كان فريد يخشى فى الحق لومة لائم ولو خسر منصبا أو فقد صديقا ، وكان يقول الحق ولو ضد أكبر رأس فى مصر ، ولا يبغى من وراء ذلك سوى المصلحة

---

(65) Safran, Nadav . op. Cit P. 89 .

(٦٦) انظر : اللواء العدد الرابع فى ٦ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « الصحافة فى مصر » .

(٦٧) محيى الدين رضا : ابطال الوطنية . مصطفى كامل — محمد فريد . القاهرة — مطبعة الصباح ١٩٢٣ .

العامة ، وكان مبدؤه فى ذلك أن الأمة يجب أن تعلم كل شيء ، وتتعرف صديقها من عدوها ، وأن الرأى العام لا يقوى الا اذا كانت لديه الشجاعة التى تجعله يقول للمخطيء أنت مخطيء ولو كان عظيما وللمصيب أصبت ولو كان حقيرا[٦٨] .

وكان فريد صادق العزم قوى الارادة لا يعرف التردد وينكر أن لليأس وجودا فى قاموس الوطنية ، كما كان يرى أن العقبات لا تقف فى سبيل الارادة القوية بل ان الارادة القوية تذلل العقبات وتسحقها[٦٩] .

ومع أن فريد واصل طريق مصطفى كامل فى الكفاح بالخطابة وكتابة المقالات وعقد الاجتماعات لتوضيح وجهة النظر المصرية فى كل مناسبة فانه استطاع أن يحدث تحولا فى أيديولوجية الحزب الوطنى واستراتيجيته النضالية وقد تركز ذلك فيما يلى :

١ — امتداد قواعد الحزب الوطنى فى كافة أنحاء البلاد لنشر رسالته بين القواعد الشعبية .

٢ — الاهتمام بنادى المدارس العليا باعتباره الأساس لمرحلة التحول

٣ — تأسيس المدارس الشعبية لتكون نواة لليقظة القومية .

٤ — المناداة بانشاء النقابات الزراعية وانصاف الفلاحين عن طريق الدعوة الى التعاون .

٥ — تجميع الطبقة العمالية والدفاع عنها لتكون ذخيرة للوطن فى كفاحه السياسى والاجتماعى .

---

(٦٨) محيى الدين رضا : المرجع السابق ص ٢٦ .

(٦٩) نفسه .

٦ — الربط بين الكفاح الوطنى فى مصر والحركة الطلابية فى الخارج[٧٠] .

٧ — الاشتراك فى المؤتمرات التى عقدت بأوربا لرفع صوت مصر والدفاع عن قضيتها أمام مختلف الشعوب والأجناس فاشترك فى مؤتمر الشبيبة المصرية بجنيف ١٩٠٩ ، وفى مؤتمر السلام باستوكلهم ١٩١٠ وعقد المؤتمر الوطنى فى بروكسل عام ١٩١٠ وأسمع العالم فى هذه الأماكن صوت مصر ودافع عن مطالبها[٧١] .

لقد ضحى فريد بصحته وماله من أجل مصر وقضيتها واستهدف للسجن والنفى والتشريد ، ومع ذلك لم ينقطع عن جهاده وان يضعف أمام الوعيد لأنه لم يعرف فى الوطنية لينا .

علاقة كل من مصطفى كامل ومحمد فريد بالدولة العثمانية

لقد رأى مصطفى كامل أن ارتباط مصر بالدولة العثمانية يحول دون اعلان انجلترا حمايتها على مصر لذلك ظل طوال حياته مدافعا عن الدولة العثمانية ومتمسكا بما جاء فى معاهدة لندن ١٨٤٠ من أن مصر دولة مستقلة وللدولة العثمانية حق السيادة عليها ، وبذلك حصر جهاده ضد انجلترا أما عن السيادة العثمانية فقد رأى أنها تراخت مع الزمن ومن السهل التخلص منها بعد التخلص من الاحتلال ولكن ليس من الحكمة المناداة بالغاء السيادة العثمانية وجلاء الاحتلال فى آن واحد حتى لا تنضم تركيا الى انجلترا ضد مصر أما محمد فريد فقد نادى بأن تكون مصر للمصريين حينما أحس أن بعض الأتراك أرادوا استخدامه كآله فى أيديهم لتحقيق أهدافهم ، ولما عرضت عليه الحكومة العثمانية

---

(٧٠) عبد الحميد الكاشف : تاريخ الحزب الوطنى تحت زعامة محمد فريد . رسالة ماجستير غير منشورة .

(٧١) الرافعى : محمد فريد ص ٩ .

بعض المناصب ومنها عميد كلية الحقوق بالاستانة اعتذر عن عدم قبولها حتى يحتفظ باستقلاله فى جهاده[٧٢] والجدير بالذكر أنه بعد توليه محمد فريد زعامة الحزب الوطنى برز اتجاهان داخل الحزب حول علاقة مصر بالدولة العثمانية فكان هناك اتجاه يمثله الشيخ عبد العزيز جاويش ويتمثل فى حق الأمة المصرية فى الحرية والدستور والجلاء فى ظل وحدة العالم الاسلامى تحت راية الدولة العثمانية[٧٣] .

أما الاتجاه الآخر فهو اتجاه محمد فريد الذى قاوم آراء الشيخ جاويش بقوله « ان حبه للدولة العثمانية أدى به الى نسيان مصر ومصالحها فأصبحوا يقولون ان مصر للمسلمين لا للمصريين ، وقد وصلت الحالة بالشيخ جاويش الى أن نصحنى بعدم حمل الدبوس الذى عملناه فى جنيف والمكتوب عليه « مصر للمصريين » بقوله ان منظره على صدرى وصدر اخوانى يغيظ العثمانيين كما يغيظهم محافظتى على قومية مصر[٧٤] » .

ولما تولى البرنس حليم رئاسة الوزارة التركية ، وكانت له مطامع فى عرش مصر وجد فريد معتصما بمصريته ، ورأى الصدر الأعظم أنه العقبة الكئود فى سبيله ، فأراد أن يتحرش به ليجبره على الخروج من تركيا فأرسل اليه يطلب منه أن ينزع من جاكتته شارته الوطنية التى كان مرسوما عليها أبو الهول ، ومكتوبا عليها « مصر للمصريين » فرفض فريد الخضوع لهذا الأمر فأرسل اليه ثانية يهدده بالنفى ، فكان جوابه « ان جميع البلاد تتساوى عندى ما دمت قد حرمت من الاقامة بمصر » وعلى أثر ذلك غادر فريد الآستانة وسافر الى سويسرا[٧٥] .

---

(٧٢) الرافعى : المرجع السابق ص ٤٥٤ .

(٧٣) انور الجندى : عبد العزيز جاويش ص ٨٢ .

(٧٤) مذكرات محمد فريد .

(٧٥) الهلال ١٩٣٠ مقال للاستاذ طاهر الطناحى بعنوان مثال البذل والجهاد محمد بك فريد ص ٣٣٢ .

ومما سبق يتضح أن علاقة مصطفى كامل بالدولة العثمانية تختلف عن علاقة محمد فريد بها .

اهمية كل من مصطفى كامل ومحمد فريد فى تاريخ مصر الحديث :

ترجع أهمية مصطفى كامل فى التاريخ المصرى الحديث الى ما يأتى :

١ — حاجة مصر الى شاب ليوقظ فيها الأمل خاصة بعد أن دب اليأس فى القلوب ، فظهر مصطفى كامل فى الوقت المناسب وطالب الانجليز بالجلاء عن مصر ، ووضع لمواطنيه الطريق الذ ى يؤدى الى ذلك باعثا فيهم الأمل فى المستقبل .

٢ — يعتبر مصطفى كامل داعية حقيقى للقضية المصرية ، فقد روج لها ترويجا واسعا حتى آمن به الكثيرون من المصريين وغير المصريين(٧٦) .

٣ — استغل مصطفى كامل سلاح الدعاية لاحساسه بأهمية تدويل القضية المصرية كما أنه سبق الأمم المتحدة الى القول بأن كل معاهدة بين قوتين غير متكافئتين هى عقد باطل ويتضح ذلك فى رسالة مصطفى كامل السياسية الأولى عن مخاطر الاحتلال .

٤ — جعل مصطفى كامل للحركة الوطنية أنصارا وأصدقاء من أكبر كتاب فرنسا وألمانيا وايطاليا وانجلترا ومن نوابها وصحفييها وثوارها ومجاهديها .

٥ — وجه مصطفى كامل الحركة الوطنية الى العمل المنتج فأدار

---

(٧٦) د. عبد اللطيف حمزه : ادب المقالة الصحفية فى مصر ج ٥ مصطفى كامل ص ٧١ .

مدرسة مصطفى كامل فى مارس ١٨٩٩ وجعل التعليم مجانيا لأغلب التلاميذ .

٦ — أسس مصطفى كامل جريدة اللواء عام ١٩٠٠ فكانت بمثابة مدرسة للصحافة الوطنية تتلمذ فيها الكثير من كتاب الحركة الوطنية ، وكانت هذه الجريدة من أوسع الجرائد العربية انتشارا(٧٧) كما أسس مصطفى كامل شقيقتين للواء احداها بالانجليزية والأخرى بالفرنسية وذلك لتوضح وجهة نظر الحركة الوطنية المصرية أمام الرأى العام الانجليزى والفرنسى .

٧ — أصبحت الحركة الوطنية بفضل جهود مصطفى كامل من القوة لدرجة أن كامبل بانرمان رئيس وزراء بريطانيا قابل مصطفى كامل أثناء تواجده بلندن وعرض عليه تشكيل وزارة مصرية ، ولكنه اعتذر عن ذلك واكتفى بتقديم كشف مكون من ٣٢ اسما كان من بينهم سعد زغلول(٧٨) .

٨ — نجح مصطفى كامل فى اصدار العفو عن مسجونى دنشواى فى ٨ يناير ١٩٠٨ فكان ذلك بمثابة انتصار كبير للحركة الوطنية(٧٩) .

٩ — تبنى مصطفى كامل فكرة انشاء الجامعة المصرية ، فدعا اليها على صفحات اللواء فى أكتوبر ١٩٠٤ ، وفى يناير ١٩٠٥ ، وانتهز فرصة دعوة محمد فريد الى تأليف لجنة للاحتفال بعودته من أوربا بعد نجاحه فى اثارة الرأى العام فى أوربا ومصر ضد الاحتلال فطلب من فريد أن يقام بدلا من هذا الاحتفال اكتتاب عام لتأسيس الجامعة المصرية مما ساعد على بلورة هذه الفكرة فى أذهان الشعب المصرى(٨٠) .

---

(٧٧) فتحى رضوان : مصطفى كامل ص ٧٩ .
(٧٨) نفسه ص ٩٠ .
(٧٩) نفسه .
(٨٠) للتفاصيل انظر كتابنا الجامعة المصرية القديمة — نشأتها ودورها فى المجتمع القاهرة — دار الكتاب الجامعى ص ٩ — ١٢ .

١٠ ألف مصطفى كامل الحزب الوطنى ودعا المصرين الى الانضمام اليه .

١١ — سعى مصطفى كامل فى دعم الوحدة الوطنية بين عنصرى الأمة وضم فى حزبه ويصا واصف .

١٢ — وجه مصطفى كامل جهوده نحو التجمعات الطلابية التى كانت شديدة الاعجاب بشخصه فتمتع بنفوذ كبير بين الطلبة ، ولم ينقضى عام الا وكانت المدارس العليا تغص بالجمعيات السرية ، وكانت نواتها مدرسة المهندسخانه حيث تأسست جمعية الاتحاد الاسلامى فى فبراير علم١٩٠٥[٨١] .

١٣ — وهب مصطفى كامل حياته من أجل الدفاع عن مصر ، فابتعد عن مباهج الدنيا وحياة اللهو كما أنه لم يتزوج ورغم أنه عاش لفترة غير قصيرة فى باريس المليئة بساحات اللهو فانه كان يقبع فى زاوية من غرفة منزله يصور آلام مصر ويطلب من ساسة أوربا مساندتها[٨٢] .

مما سبق يتضح أن مصطفى كامل كان زعيما وطنيا ناضج الفكر واسع الاطلاع عارفا بأسرار السياسة الدولية .

أما عن محمد فريد فقد نال من الاحتلال وصنائعه أكثر مما تعرض له مصطفى كامل لأنه تولى رئاسة الحزب الوطنى فى وقت تعرضت فيه الحركة الوطنية لضربات متلاحقة سواء من الخديو أو الاحتلال نتيجة لسياسة الوفاق التى اتبعها الانجليز لاجتذاب الخديو الى صفهم ، لذلك اكتنفت رئاسة فريد للحزب الوطنى المصاعب والعقبات ومع ذلك فانه

---

(٨١) عصام ضياء الدين : المرجع السابق ص ٥ .

(٨٢) على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا جـ ٥ ص ١٢٨ ، ص ١٢٩ .

يمكن تلخيص الأعمال البارزة للحزب الوطنى أثناء رئاسة فريد له فى الآتى :

١ — محاولة الاحتفاظ بوحدة الحزب وتضامن أعضائه .

٢ — انشاء اللجان الفرعية للحزب فى أقسام العاصمة وفى البنـــاد والأقاليم .

٣ — تأليف مدارس الشعب الليلية لتعليم العمال مجانا .

٤ — وضع تقرير سنوى متصل عن أحوال البلاد .

٥ — استمرار الدعاية للقضية الوطنية فى أوربا عامة وانجلتـــرا خاصـــة[٨٣] .

٦ — توجيه الأمة الى مطالبة الخديو بالدستور فطبع الحزب الوطنى عشرات الآلاف من العرائض لطلب المجلس النيابى[٨٤] .

٧ — دعم فريد التنظيمات السرية فى مصر وطورها ، ولم يجـــد غضاضة فى تثوير الشباب المصرى بطرح أعمال العنف التى اندلعت فى أيرلندا والهند ضد الاحتلال البريطانى لتكون التجارب واضحة أمامهم فى مقاومة الاحتـــلال فى مصر ، كما أوعـــز الى اللواء بابراز الكفاح الثورى فى الهند والاشادة بدور الطلاب الهنود الذين أصبحت أغلب مدارسهم الوطنية مصانع للمفرقعات يتعلم فيها الطلبة على كيفية صنعها وتركيبها[٨٥] .

---

(٨٣) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٨٥ .

(٨٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٥٦ — ٦٢ .

(٨٥) عصام ضياء الدين : المرجع السابق ص ١٠ وللتفاصيل انظر : اللواء فى ٣ مايو ١٩٠٨ مقال تحت عنوان « الثـــورة على حدود الهنـــد الانجليزية » ومقال بتاريخ ٧ مايو تحت عنوان « الثورة فى الهند الانجليزية » ومقال بتاريخ ١٤ مايو تحت عنوان « هذا ما يخشاه الانجليز » ومقال بتاريخ ٢٥ مايو تحت عنوان « القنابل فى الهند » .

ولم تقتصر جهود فريد فى تكوين الجمعيات السرية على مصر وحدها بل امتد نشاطه الى أوربا حيث يوجد الطلبة المصريون[٨٦] .

٨ — لما كانت محور التنظيمات السياسية تتركز فى تنظيم العمال والفلاحين فقد دعا فريد الى تأسيس نقابات للعمال ، ونتيجة لذلك تأسست نقابة عمال الصنائع اليدوية فى مصر على يد ابراهيم الوردانى والشيخ عبد العزيز جاويش اللذين بذلا جهودا كبيرة فى وضع قانون لها[٨٧] وعلى غرار هذه النقابة تأسست بعض النقابات فى عواصم الأقاليم مثل الاسكندرية والمنصورة وطنطا .

٩ — لم يقتصر جهاد فريد على بث الروح الوطنية داخل مصر بل تخطى حدودها الى الخارج بمقالاته وأحاديثه فى الصحف وخطبه فى المحافل والمجتمعات ، وأعظم مظهر لذلك هو مؤتمر بروكسل[٨٨] .

وهكذا استخدم فريد كافة الوسائل التى شاركه فيها رفيق كفاحه مصطفى كامل وزاد عليها المؤتمرات التى عقدها فى أوربا أو اشترك فيهـــا .

تضحيات كل من مصطفى كامل وفريد فى سبيل مصر

(أ) تضحيات مصطفى كامل :

١ — رغم أن مصطفى كامل قيد اسمه فى جدول المحامين ، وقررت لجنة انتخاب المحامين قبوله[٨٩] فانه لم يحترف المحاماه أمام المحاكم ولم يدافع الا عن قضية واحدة وهى قضية مصر[٩٠] .

---

(٨٦) عصام ضياء الدين : المرجع السابق .
(٨٧) دار القضاء العالى . وثائق اغتيال بطرس غالى . ملف رقم (١) استجواب الشيخ عبد العزيز جاويش .
(٨٨) الرافعى : المرجع السابق ص ١٩١ .
(٨٩) المؤيد فى ٣١ ديسمبر ١٨٩٤ .
(٩٠) الرافعى : مصطفى كامل ص ٤٥ .

٢ — رغم أن مصطفى كامل كان ضعيف الصحة وفى حاجة الى الراحة فانه لم يعط لبدنه حقها من الراحة بل واصل بذل الجهود فى سبيل مصر ، وأخذ على عاتقه مهمة ايقاظ الشعور الوطنى وبث الدعاية للقضية المصرية فى الخارج ورغم ضعف صحته واصل حملاته ضد الاحتلال ولم تغريه باريس بمفاتنها ، بل كان يقطع شوارعها وحواريها ليلحق سياسيا قبل أن يترك مكتبه أو خطيبا قبل أن يقف على منصة الخطابة ليشكو اليه أحوال مصر فى ظل الاحتلال[٩١] .

٣ — لقد كانت عزيمة مصطفى كامل تعلو كل فشل ، وروحه القوية تسمو فوق كل اخفاق فلم يجزع حين اضطهد الانجليز شقيقه على فهمى نتيجة للحملات التى شنها عليهم مصطفى كامل فى أوربا بل أوضح أنه مهما حورب فى شخصه أو شخص أقرب الناس اليه فلا يحول حائل دون جهاده[٩٢] .

٤ — رفض مصطفى كامل عرض السير « كامبل بانرمان » رئيس وزراء بريطانيا تكوين وزارة بمعرفته بقوله « ان وطنيتى تفرض على رفض كل مركز فى الحكومة طالما ظل الاحتلال جاثما على صدر مصر[٩٣] » .

٥ — لما علم مصطفى كامل برغبة محمد فريد فى تأليف لجنة بقصد عمل اكتتاب عام لدعوته الى وليمة وتقديم هدية له بعد جهوده التى بذلها فى الخارج من أجل مصر قال ان « خير هدية أقترح عليكم تقديمها للوطن العزيز والأمة المصرية أن تقوم اللجنة التى شكلت بدعوة الأمة كلها وطرق باب كل مصرى لتأسيس كلية أهلية تجمع أبناء الفقراء والأغنياء على السواء[٩٤] » .

---

(٩١) على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا جـ ٦ ص ١٢٦ .
(٩٢) الرافعى : المرجع السابق ص ٧٣ .
(٩٣) أحمد رشاد : مصطفى كامل حياته وكفاحه ص ٣٢٣ .
(٩٤) مذكرات محمد فريد . ملف رقم (١) خطاب مرسل من مصطفى كامل الى محمد فريد بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٠٦ ص ١٣ .

(ب) تضحيات محمد فريد :

١ — لقد كانت حياة محمد فريد سلسلة من التضحيات فى سبيل مصر فقد ضحى أولا بالمناصب اذ بدأ حياته السياسية بالاستقالة فى وظيفته بعد موقفه الوطنى من قضية التلغراف ثم ضحى بعمله فى المحاماه لكى يتفرغ للجهاد كما ضحى بأمواله لمساندة الحركة الوطنية فباع كل ما يملكه من أراض زراعية بعد أن تولى رئاسة الحزب الوطنى[٩٥] .

٢ — رفض محمد فريد الاشتراك فى وزارة محمد سعيد بعد أن عرضها عليه بقوله « كيف تطلب منى أن أشترك فى حكم البلاد فى ظل الاحتلال ، وأنا أجاهد الاحتلال ؟ وكيف يتفق النقيضان[٩٦] ؟ » .

٣ — فى أكتوبر ١٩١٠ عقب انتهاء مؤتمر بروكسل قابله بباريس مبعوث من الحكومة الانجليزية يعرض عليه احدى الوزارات ومساعدته ماليا بعد أن تحرج مركزه المالى ولكن فريد رفض هذا العرض بقوله « ان ضياع ثروتى لا يؤثر على مبادئى ، وانى أرفض أى مركز فى الحكومة مادام الانجليز فى مصر[٩٧] » .

٤ — لما عرضت عليه الحكومة العثمانية بعض المناصب ، ومنها عميد كليه الحقوق بالاستانة اعتذر حتى يحتفظ باستقلاله فى جهاده بقوله « اننى لم أخرج من بلادى للبحث عن وظيفة انما خرجت لخدمتها، وسأبقى كذلك حتى أموت[٩٨] .

---

(٩٥) مذكرات محمد فريد — مظروف رقم (٣٠) .
(٩٦) الرافعى : محمد فريد ص ٤٥٤ .
(٩٧) نفسه .
(٩٨) مجلد الهلال ١٩٣٠ مقال للاستاذ طاهر الطناحى تحت عنوان مثال البذل والجهاد محمد بك فريد ص ٣٣١ .

٥ — لقد ضحى فريد براحته وحريته فاستهدف للسجن والنفى وكان يتلقى المحن والشدائد بكل رضا فكان رجل مبادىء لم يتغير مهما قاسى فى سبيل المحافظة على مبادئه فقد ضحى بثروته من أجل الحركة الوطنية حتى أصبح المال قليلا معه أثناء تواجده بالمنفى لدرجة أنه أثناء تواجده بالمنفى ركب لأول مرة فى حياته القطار فى الدرجة الثالثة بسبب قلة النقود معه ويتضح من ذلك قوله « سافرت الى استوكهلم فى الدرجة الثالثة ، وهى أول مرة لى فى هذه الدرجة بسبب قلة النقدية ، وأقمت هناك اثنى عشر يوما ثم عدت فى الدرجة الثالثة الى انفر ببلاد بلجيكا لأن لى بها معارف من أعضاء مؤتمر السلام[٩٩] » .

يضاف الى ذلك أن فريد لم يجد العناية الطبية الكافية عند اصابته بمرض الاستسقاء وذلك لعدم توافر النقود اللازمة لذلك معه .

٦ — ان رصيد فريد عامر بالتضحية فقد احتمل الفقر وهو ابن الأثرياء[١٠٠] ، واحتمل المرض ولم يجد العناية الطبية لقلة نقوده حتى أنه شاع فى أواخر أيامه التى قضاها فى أوربا أنه كان يحتطب لكسب قوت يومه ، وأنه كان يلبس بذلة مرقعة[١٠١] .

والواضح أن فريد كان يصله قبل نشوب الحرب الأولى من عائلته مبلغ عشرون جنيها شهريا ، ولكن نشوب الحرب أدى الى انقطاع هذا المبلغ عنه فاشتدت به الضائقة المالية لدرجة أنه رهن بعض ثيابه لدى المرابين اليهود فى ألمانيا[١٠٢] كما أخذ يقتصد فى نفقاته فسكن فى غرفة واحدة ، وكان يتغذى بفرنك واحد ثم يكمل غذاءه بكوز من الذرة المشوى وذلك اقتصادا فى النفقة .

---

(٩٩) مذكرات محمد فريد . ملف (١) ص ٢١ .

(١٠٠) للتفاصيل انظر : الرافعى : محمد فريد ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

(١٠١) مجلد الهلال ١٩٣٠ المقال السابق ص ٣٣٢ — ٣٣٣ .

(١٠٢) روز اليوسف العدد ١١١٨ فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٩ .

وهكذا كانت حياة محمد فريد مثالا فى الوطنية والاخلاص والتضحية فى سبيل الوطن ، فقد ضحى من أجله بكل ما هو عزيز عند الانسان ، وجعل حياته فداء لوطنه[١٠٣] ، فقضى عمره يذكى روح الوطنية فى البلاد ، وينفخ فى رمادها حتى تأججت نيران ثورة ١٩١٩ .

أوجه الاختلاف بين مصطفى كامل وفريد

١ — مع أن مصطفى كامل اتفق مع محمد فريد فى أساسيات حركة الكفاح الوطنى فان الظروف السياسية التى لازمتهما وبوجه خاص أثناء زعامة كل منهما للحزب الوطنى حتمت عليهما اتباع سياسة مخالفة للاخر فمع أن زعامة مصطفى كامل للحركة الوطنية كانت تمثل « المرونة السياسية » فان زعامة محمد فريد كانت تمثل « الصلابة العقائدية[١٠٤] » .

لقد كان رصيد مصطفى كامل السياسى يتيح له فرصة استخدام الأسلوب المرن من أجل الوصول الى هدفه فتعمد الابتعاد عن الأساليب الثورية فى الكفاح مكتفيا بالاعتماد على الكتابة والخطابة فى التشهير بالاحتلال[١٠٥] .

أما فريد فقد دفعته ظروف سياسة الوفاق وقلة رصيده السياسى بالاضافة الى الخلافات التى نشبت داخل الحزب الوطنى بعد وفاة مصطفى كامل الى التشدد فى مواقفه .

٢ — أن محمد فريد لم يرتبط بالخديو بأى روابط مادية ، فلم يحدث أن قدم اليه الخديو أى معاونة مثلما حدث مع مصطفى كامل .

---

(١٠٣) الرافعى : محمد فريد ص ٤٥٧ .

(١٠٤) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ٨٥ .

(١٠٥) على فهمى كامل : المرجع السابق ج ١ ص ٢٢٧ .

٣ — حرص مصطفى كامل على دعم الوحدة الوطنية فضم الى حزبه قبطيا واصف وعدد من الأقباط أما فريد فقد وقع تحت تأثير التعصب الاسلامي الذى تزعمه الشيخ عبد العزيز جاويش داخل الحزب الوطني[١٠٦] .

٤ — اعتمد مصطفى كامل على الأسلوب الخطابى فى اجتذاب الجماهير بينما اعتمد فريد على تنظيم الحزب الوطنى لادارة أسلوب الكفاح .

٥ — كانت كوادر الحزب الوطنى تحت زعامة مصطفى كامل تعتمد على الطبقة المثقفة فى المدن بينما اهتم فريد بتقوية الحركة العمالية والاهتمام بالعمال والفلاحين حيث أنهم القوى الاجتماعية القادرة على مقاومة الاحتلال كما اهتم فريد بمد فروع الحزب فى الأقاليم حتى تكون له قواعد شعبية فى أنحاء البلاد .

٦ — وافق مصطفى كامل على أن يكون زعيما للحزب الوطنى مدى الحياة بينما اعترض فريد على هذه الفكرة وطالب أن يكون انتخابه لفترة محددة .

٧ — جمع مصطفى كامل بين زعامة الحزب وادارة جرائد الحزب بينما تفرغ فريد لقيادة الحزب وترك ادارة جريدة اللواء للشيخ عبد العزيز جاويش .

٨ — لم يكن فريد خطيبا فى بلاغة مصطفى كامل[١٠٧] بل كان دائما ما يتلو خطبه .

٩ — اتصلت أفكار فريد بالتيار الاشتراكى فى أوربا لذلك بدأ يتجه

---

(06) MarloWe J. Anglo Egyptian Relation P. 201 .

(١٠٧) محمد على علوبة : المخطوط السابق ص ٢٨٩ .

بالحركة الوطنية وجهة جديدة وهى محاولة الربط بين حركة المثقفين والطبقة العاملة الناشئة مما كان له أثره فى زيادة قوة الحركة الوطنية .

١٠ — اهتم فريد بالعمال الزراعيين وربط الحركة الوطنية فى مصر بحركة السلام العالمى بينما لم يهتم مصطفى كامل سوى بالطبقة المثقفة[١٠٩] .

١١ — كان فريد أول من ذكر أن الجلاء عن مصر يعتبر خدمة للسلام العالمى كما ربط قضية استقلال مصر بقضية الاشتراكية الدولية خصوصا بعد أن أرسل لنين رئيس الحكومة الروسية تلغرافا الى عموم العالم يطلب فيه تحرير مصر والهند[١١٠] .

١٢ — تعرض فريد من سلطات الاحتلال ومن الخديو والوزارات القائمة بالحكم الى الاضطهاد وأخذت تتلمس له الأسباب الواهية لابعاده عن الحياة العامة ووضعه فى السجون بينما لم يتعرض مصطفى كامل لذلك .

وعلى كل حال فقد ضحى كل من مصطفى كامل وفريد من أجل الحركة الوطنية وتعرض كل منهما للمرض وتوفى كل منهما فقيرا معدما[١١١] .

---

(١٠٨) شهدى عطية الشافعى : تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ — ١٩٥٦ القاهرة . الطبعة الأولى ١٩٥٧ .

(١٠٩) نفسه ص ٢٣ .

(١١٠) مذكرات محمد فريد . ملف رقم ١٠ ص ٢٦٧ .

(١١١) محمد على علوبه : المخطوط السابق ص ٢٩٠ .